سـورة المُلْك (دراسة في التّماسك النّحوي)

أ.م.د. سعيد سلمان
جامعة واسط – كلية الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث:
يتناول هذا البحث وسائل التماسك النحوي في سورة المُلك؛ لبيان أسرار اتساق النص القرآني من حيث تكاتف العناصر الإحالية في النص، وهي الضمائر، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة، هذا التكاتف الذي أسبغ على النص سُبكا تتلاحم عناصره ؛ لزيادة الترابط والتماسك. وكذلك تتظافر الأدوات الرابطة في السّورة ممّا أضفى على النص دلالات مستمدة من وظائفها فضلًا عن مساهمتها في التماسك النحوي . وفي الآخر تطرق الى بعض أنماط الحذف التي تساعد على شدّ، وترابط النص .

الكلمات المفتاحية: سورة ، المُلك. التماسك ، النحوي.

Abstract
I tried through this paper to reveal the text grammatical cohesion and display relevant features, discourse style and the secret behind its greatness. This Surah is filled with text cohesion tools and strong conjunction between its structures as if a series of related words, and each structure is rich with these tools. All that required us to divide them into terms starting with referral that is consisted of: pronouns, relative nouns and demonstrative nouns, and all these elements have the influence in parts and structure cohesion in Surah Al-Mulk. The second term is the conjunction that has a varied conjunction tools in Surah Al-Mulk such as

and we did a great effort to get a fruitful and valuable research that can serve the language of holy Qur'an.

Key words: Surah Al-Mulk, pronoun, conjunction, Gracious Allah

the additional conjunction ,and also the prefix particle of purpos, and recognition conjunction. The third term is omission, and we have explained clearly its influence in the text cohesion and text parts conjunction. The important results were mentioned at the conclusion of this paper,

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل بيده المُلك وهو على كل شئ قدير ، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد البشير النذير، والسّراج المُنير ، وعلى آل بيته الهُداة الى السّبيل المستقيم ، والمنهج القويم . وبعد فأن سور القرآن الكريم كلها نور يستضاء ، ومنار يهتدى به، غير أنّ ثمّة سور اختصت بفضيلة ما إنْ قرأها الإنسان، وفهمها ،وسار على نهجها ستكون له منجاة من العذاب، وشفيعا له يوم الحساب ؛ لذا ارتأيت أنْ أقف على هذه السّورة المباركة وأدرسها دراسة تكشف عن جوانب التماسك النحوي النصّي فيها لبيان أساليبها الاتساقية ، وسرّ عظمتها فهي سورة كثرت فيها وسائل التماسك النصّي التي تُفضي الى قوة الترابط بين تراكيبها، وكأنّها سلسلة من الأواصر المتراصّة الآخذة بعضها برقاب بعض. و قد اقتضى تقسيم البحث الى فقرات بدأناها بالإحالة التي تتكون من العناصر الآتية : الضمائر، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة ، ثم تأتي الفقرة الثانية : الوصل وفيه تنوعت الأدوات الرابطة في سورة المُلك مثل: الرّبط الإضافي الذي تعبر عنه الأدوات "الواو ، التاء ، أم ، أو" ،وكذلك الرّبط السببي الذي تعبّر عنه الأداة "اللام"، والرّبط الزمني بـ "ثم" ،والرّبط الاستدراكي بـ "بل". والحذف يمثل الفقرة الثالثة، وقد بيّنا أثره في ترابط أجزاء النصّ، وتماسكه.

وانتهى البحث بخاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج ،وقد بذلنا ما بوسعنا ليخرج البحث على نحو يخدم لغة القرآن ؛ لعلّها تكون في ميزان حسناتنا. فإنْ أصبنا فبها ونعمت، وإنْ أخطأنا فحسبنا إنّا حاولنا جاهدين البحث في كتاب الله العزيز، وبالله التوفيق عليه توكلنا وإليه المصير.

الإحالة:

تُعدّ الإحالة مظهراً من مظاهر اتساق النصّ بل لا نبالغ إذا قلنا هي أهم مظاهر اتساق النصّ ، لما تؤدّيه من وظيفة الرّبط بين أجزاء النصّ من جهة ، وما لها من حضور واسع من جهة أخرى ، فلا يكاد يخلو أي نصّ من وجود عنصر إحالي فيه ولا سيما إذا كان هذا النصّ قرآنياً ، فالنصّ القرآني متماسك الأجزاء مترابط العناصر، تتعالق ألفاظه وتتكامل معانيه بعضها ، وتتكاثف فيه العناصر الإحالية لتجعله كأنّه نص واحد إبتداء من سورة الفاتحة وإنتهاء بسورة النّاس غير أنّنا سنقتصر في هذا البحث على سورة المُلك التي احتشدت فيها العناصر الإحالية على نحو مُلفت وقبل الخوض في تلك العناصر لابد من الإشارة الى أنّ "العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل ، إذْ لا بد من العودة الى ما تشير إليه من أجل تأويلها – وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تلك خاصية الإحالة"[١] والعناصر التي سنقوم بدراستها في هذه السّورة المباركة هي الضمائر، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة . فالضمائر والأسماء الموصولة تكاتفتا وتعاونتا معاً حتى جعلتا النصّ أكثر تماسكاً وترابطاً ، إذْ بدأت السّورة بقوله تعالى :" تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلك وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". ً الآية ١

فاللفظة المركزية التي تُحال اليها الضمائر هي "الَّذِي بِيَدِهِ المُلك" المتكوّنة من الموصول وصلته الجملة الاسمية التي أظهرت أهم صفة يتميز بها الباري عزّ وجلّ وهي صفة المُلك ، ومجيء (اليد) للدلالة على احتواء المُلك والسيطرة عليه .[٢] وإتمامًا لهذه الصّفة عُطف عليها "وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير" لأنّ "المتصرف في المُلك قد لا يكون قدرته تامّة ،ولا عامّة .قال تعالى :" وهو" أي :وحده له عظمة تستولي على القلوب وسياسة تعمّ كلّ جلب نفع ، ودفع ضرّ" [٣].

ثم تتوالى صفات الكمال التي تعود على الموصول الأول بقوله:" الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ" الآية ٢

فالموصول وصلته "خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ" أبدل من الموصول الأول وداخل معه في حكم الشهادة"[٤] رابطاً بين صفة الخلق ،وبين الصّفة السّابقة مذيّلاً الآية بقوله "وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ" ليعود الضمير على الموصول بيانًا لصفتين أُخريين وهي العِزّة والمغفرة فالله جلّ علاه عزيز في ملكه ، مطلق في قدرته، لا يُبارى ولا يُغلب وما أقدر أحداً على مخالفته إلّا ابتلي و امتحن ، مُذل الجبابرة ، عفوّ يحب العفو[٥]. وزيادة لترابط النصّ وتماسكه تتكرر الموصلات والضمائر :" الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ

مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ" الآية ٣

فأظهر سبحانه من خلال الموصول وصلته صفة أخرى وهي خلق سبع سماوات طباقاً أي "مطابقة بعضها فوق بعض" (٦).

ثم عدّل الى ضمير المخاطب في " تَرَى " ليكون الخطاب عاماً "لكل من يمكنه الرؤية وفي إضافة الخلق الى الرّحمة إشارة الى أنّ الغاية منه هي الرّحمة العامة ، وتنكير " تَفَاوُتٍ " وهو في سياق النفي ، وإدخال "مِن" عليه لإفادة العموم" (٧).

وفي تكرار ضمائر الخطاب دعوة الى النظر الى كمال خلق الله "ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ ". الآية ٤

فالله سبحانه أمر المخاطب يرجع البصر ثم أمره بألّا يقتنع برجعة الأولى وبنظرته الحمقاء، وأنْ يكف بعدها ويمنع بصره ، ثم يحاول ويحاول الى أنْ ينحسر

بصره من طول المحاولة التكرار ، وفي نهاية المطاف لا يجد على شيئا من فطور(٨).

فالملاحظ أنّ القرآن الكريم لم يقل : والبصر حسير، بل قال : وهو حسير، إيجازاً منه وعدم تكرار البصر مرّة ثالثة، وربطاً للنص في هذا الضمير الذي كان حضوره واسعاً في هذا النصّ الكريم لما له من أهمية "في كونه يحيل الى عناصر سبق ذكرها في النصّ وأن الضمير "هو" له ميزتان ، الأولى: غياب عن الدائرة الخطابية والثانية : القدرة على إسناد أشياء معينة " (٩).

وتتنوع أدوات الرّبط المتمثلة بضمائر المتكلم والغائب في قوله تعالى:" وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ "الآية ٥

فضمير المتكلم في "زينا ، جعلنا ، واعتدنا" و "ضمير الغائبة في "جعلناها" يعود الى المصابيح، وعليه فأنّ المصابيح تكون رجوماً للشياطين" (١٠) ، ولم يكرّر ذكر الشياطين مرة أخرى؛ ليربط النصّ بضميرهم قائلاً "اعتدنا لهم" وهذا الإعداد ليس مقتصراً على الشياطين بل لكلّ من اتبعهم؛ لذا عطف عليهم الموصول لما في صلته من بيان لإدخال متبعي هؤلاء الشياطين في نفس النّار إذْ قال: :وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ".

ثم يزداد التنوع الى غائب ومتكلم ومخاطب في النصّوص الآتية "إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ " الآية ٧. ١١

والتنوع في هذه النصّوص متأت من تلوين الخطاب من الوصف الذي يستدعي ضمائر

الغائب "فيها ، لها ، هي – الضمير في" تكاد تميّز" سألهم خزنتها الى سؤال الخزنة لأهل النار الذي يستدعي الخطاب "يأتكم" والجواب "أنتم" الى ضمائر المتكلم وهو جواب أهل النار "جاءنا ، فكذبنا ، قلنا ، كنا ، نسمع ، نعقل".

والملاحظ أنّ هذا التنوع أضفى للتركيب مزيداً من القوة في الرّبط وتماسكاً في السّبك فضلاً عن ذلك أنّ خطاب الجمع في قوله "إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ " بضمير "أنتم" مع أنّ المخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على أمثاله مبالغة في التكذيب وإشارة الى انّ جواب الكل للكل كان متحداً مع افتراقهم للزمان حتى كأنّهم كانوا على ميعاد(١١).

وتتضافر الأسماء الموصولة إبرازًا لصلاتها كما في حيزها من أهمية بالغة مع الضمائر فتساهم في تماسك النصّ وترابطه من قوله تعالى :" إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ " الآية ١٢

ومن بديع الإعجاز أنْ تجتمع أدوات الرّبط الثلاث أسم الاشارة ،والاسم الموصول ،والضمير في موضع واحد .وهو قوله تعالى : "أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ" الآية ٢٠ . وذلك لإبطال أنْ يكون أحد يدفع عنهم العذاب الذي توعدهم الرحمن فأنذرهم فاستهل الكلام باستفهام أن يجدوا أحداً من أصنامهم أو غيرها يعتمد عليه في النصر من دون الله .(١٢).للدلالة على تبكيتهم وإظهار عجزهم.

إذْ إنّ أجتماع هذه الأدوات الرابطة أفاد جملة معاني مفادها التنبيه على أنّ المدبر للاشياء لا بد أنْ يكون في غاية القُرب والزّيادة لها ، ويكون مع مزيد قربه عالي الرتبة بحيث يشار اليه فقال مقرّراً لعجز العباد : "هذا" بإشارة الحاضر "الذي" وأبرز العائد ؛لأنّه لا بد من إبرازه مع الاسم بعدم صلاحه لتحمل الضمير فقال هو جند أي: عون ، وصرف القول عن الغيبة الى الخطاب ؛ لأنّه أبلغ في التقريع فقال : "لَّكُمْ يَنصُرُكُم" ، ثم أتبعه ما يهتم به البقاء فقال :" أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ".

الآية ٢١

وأشار الى القرب بالعلم والبعد بالعلو والفطرة بقوله "هذا" وأشار الى معرفة كل أحد بصفاته العليا التي تنشأ عنها أفعاله المحكمة السنية فقال "الذي" وأسقط العائد لتحمل الفعل له فقال "يرزقكم" على سبيل التجدد والاستمرار لا ينقطع موضعه أبداً(١٣).

ثم يأتي أسم الإشارة على لسان الذين كفروا بقوله : "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ " الآية ٢٥. إذْ إنّ الكفار لم تكن لهم معارضة للحجّة في قوله "هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ" الآية ٢٣، الى "هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ" انحصر عنادهم في "وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" لذا قالوا متى هذا الوعد على سبيل الاستفهام التهكمي

؛ لأنّ من عادتهم أن يستهزئوا بذلك ، وضمير الخطاب في "إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" للنبي "صلى الله عليه وآله وسلّم" والمسلمين ؛ لأنّهم يلهجون بإنذارهم بيوم الحشر(١٤).

وجاءت الإجابة عن سؤالهم بأداة الرّبط نفسها وهي "هذا" مع بناء الفعل للمجهول بقوله:" فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ " الآية ٢٧، أي هذا الوعد الذي كنتم تسألونه وتستعجلون به بقولكم متى هذا الوعد(١٥)، وأعرض عن تحديد القائل ، إذْ القصد ومراد الكلام هوالمقول وليس القائل لذلك حُذِف القائل من الكلام طلبًا للإيجاز (١٦).

الوصل:

هو مظهر من مظاهر الاتساق النصّي يراد به تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السّابق بشكل منظم ، أي أنّ النصّ عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة تحتاج الى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النصّ ؛ ولأنّ وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل، وجعل المتواليات مترابطة ،ومتماسكة فأنّه لا محالة يعدّ علاقة اتساق أساسية في النصّ(١٧) ، وهذا ما يتضح جلياً في سورة المُلك ، ففيها عناصر رابطة متنوعة ساهمت في تقوية الأجزاء المكوّنة للنصّ وتماسكها الى حد كبيرٍ ، إذْ تنوعت فيها أدوات الرّبط تبعاً لتنوع دلالتها ووظيفتها ، فالرّبط الاضافي لا تعبر عنه الأدوات "الواو – الفاء – أم – أو" حيث يتم الرّبط بين الجمل عبر إضافة معنى جديد ، إذْ تضيف كل جملة لاحقة الى سابقتها عنصراً إخبارياً جديداً سواء عبر التتابع من خلال الأدوات مثل "الواو– الفاء" أو عبر التخيير بإضافة أحد المعنيين من خلال الأدوات مثل "أم– أو" فيسهم تراكم الدلالة في بناء معنى النصّ" (١٨).

وقد اجتمعت هذه الأدوات في سورة المُلك فأدّت الى قوة الترابط بين النصّوص فضلاً عن إضافة معانٍ جديدة لها ، ففي قوله تعالى : "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلك وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ". الآية ١

فمجئ الواو هنا أدّى الى تماسك النصّ وترابطه، فقوله "وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قدِيرٌ" معطوفة على جملة "بِيَدِهِ المُلك" وهي تعميم بعد تخصيص لتكميل المقصود من الصلة ، إذْ أفادت الصّلة عموم تصرّفه في الموجودات ، وأفادت هذه عموم تصرفه في الموجودات والمعدومات فيكون قوله : "وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قدِيرٌ" مفيداً معنى آخر غير ما أفادته الجملة السابقة تفادياً من أنْ يكونْ معناه تأكيداً لمعنى "بِيَدِهِ المُلك"(١٩).

ثم يأتي الرّبط السّببي باللّام في قوله تعالى :" الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ " الآية٢

إذْ جاءت اللّام لبيان علّة خلق الموت والحياة ، وهو البلوى ، أي "خلق موتكم وحياتكم أيّها

المكلفون ليبلوكم" [٢٠]. فربطت اللّام بين الجملتين ؛لإعادة العلة فهي "تدخل على الفعل المضارع وغيره لبيان العلة " [٢١].بعدها يأتي الرّبط الزمني بـ "ثم" في قوله تعالى: " مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ " الآية ٣

فالتعبير بأداة التراخي "ثم" فيها من قوة الرّبط والتّماسك من جهة ومن الدلالة على طول الزمان المستدعي لطول النظر من جهة أخرى فالأمر الأول دعوة لإرجاع البصر حتى يصبح عند المخاطب ما أخبر به من المعاينة ولا تبقى معه شبهة فيه.[٢٢] والأمر الثاني المسبوق بـ "ثم" جاء دالّا على "جلاله بإدامة التكرير وطول الزمان "ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ" [٢٣] فقد أمره بإرجاع البصر، وأن لا يقتنع بالرّجعة الأولى ، وأنْ يتوقف بعدها ويمنع بصره ثم يكرر ويكرر الى أنْ ينحسر بصره من طول المحاولة والمعاودة ، فأنّه لا يجد شيئا من فطور [٢٤].

وقد يتوهّم المخاطب أنّ العذاب مخصوص للشّياطين فحسب فتأتي أداة الرّبط الإضافي ؛لتدفع هذا التوهّم من خلال الجمع بين نصّين متتابعين في قوله تعالى :" وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ " الملك٥ ، فقوله: "وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ، هذا تتميم لئلا يتوهم أنّ العذاب أُعدّ للشياطين خاصة ، والمعنى ، ولجميع الذين كفروا بالله عذاب جهنم ، فالمراد عامّة المشركين عامتهم ولأجل زيادة المعنى وتثبيت الفائدة غايرت الجملة التي سبقتها فعُطف عليها [٢٥].

بعد الحديث عن مصير الكفار يأتي أسلوب الحوار بين خزنة جهنم والكفار ولا شك أنّ هذا الأسلوب يستدعي تكاتف الأدوات الرابطة لتضفي على النصّ دلالات مستمدة من وظيفة الأداة فضلاً عن مساهمة تلك الأدوات في تماسك النصّ. ففي قوله تعالى:" تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ " الآية ١٠.٨

أجاب الكفار عن سؤال الخزنة بقولهم : بلى قد جاءنا نذير فكذبنا "إذ لو قالوا بلى، لفُهم المعنى ولكنهم أظهروا تحسرًا وزيادة في تغميمهم على تفريطهم في قبول قول النذير ، فعطفوا عليه "فكذبنا" " [٢٦].

ثم أردفوا بقولهم "لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ" فاستعملوا أداة التقسيم "أو" للجمع بين أمرين، لو أتبعوهما لكانا سببًا في نجاتهم من النّار هما السّمع أو العقل " أي لو كنّا سمعنا سمع مَنْ يعي ويفكر ماكنّا في أصحاب السّعير أو يعقل

عقل مَنْ يميز وينظر ماكنّا في أهل النار" (٢٧).

والتقسيم هنا باعتبار نوعي الأحوال التي تقتضي حسن الاستماع تارة إذا ألقى إليها إرشاد ، وحسن التفهم والنظر تارة ، وسرّ تقديم السّمع على العقل ، لأنّ العقل بمثابة الكلّي ، والسّمع بمثابة الجزئي ، ومراعاة لترتيب التكليف ؛ فأنّ سماع دعوة النذير هي أول ما يتلقاها المنذرون ثم تتدبر عقولهم فيا تلّقوه(٢٨).

وتتكرر "أو" في قوله تعالى:" وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" الآية١٣، غير أنّ هذه المرة جئ بها لمخاطبة المشركين وتخييرهم بأحد الأمرين ، إذْ إنّ "أو" تأتي للتخيير إذا وقعت بعد الطلب.(٢٩) فالمراد هنا "الأمر بأحد الأمرين : الإسرار والإجهار ومعناه: ليستو عندكم إسراركم وإجهاركم في علم الله بهما ، ثم إنّه علّله بـ "إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" أي بضائرها قبل أنْ تترجم الألسنة عنها ، فكيف لا يعلم ما تتكلم به" (٣٠).

بعد تخيير المخاطبين بين الإسرار والإجهار بلغت أنظارهم الى نعمة عظيمة من نعم الله تعالى في قوله: " هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ" الآية ١٥

فالمراد بالمناكب جبالها ، وقيل جوانبها وقيل: طرقها ، وأشبه التفسير من قال في جبالها ، لأن قوله "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً" معناه سها لكم السلوك فيها ، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها فهو أبلغ في التذييل (٣١) فجاء إستعمال الفاء في قوله "فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا" لترتيب الآمر بالمشي على الجعل المذكور" (٣٢).

فساهمت بالرّبط بين الجملتين وأضافت دلالة الترتيب ، فلا شك إن المشي في المناكب يأتي بعد تذليل الأرض وتسهيل السلوك فيها. بعد ذلك يوجه الخطاب للمشركين بأسلوبين استفهاميين تربط بينهما "أم" الدالة على الإضراب لتجعل منهما اكثر تماسكاً وترابطاً وذلك في قوله تعالى: " أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ".فقد جاءت هنا لإضراب الانتقال من غرض إلى غرض وهو انتقال من الاستفهام الانكاري التعجبي الى آخر مثله باعتبار اختلاف الأثرين الصادرين عن مفعول الفعل المستفهم عنه أختلافاً يوجب تباينا بين ماهية الفعلين وإن كان الفعلان متحدين في العاقبة، فالاستفهام الاول إنكار على أمنهم من الذي في السماء أنْ يفعل بهم فعلاً أرضيًا وأما الاستفهام الواقع مع "أم" إنكار عليهم أنْ يأمنوا من أنْ يُرسل عليهم من السّماء عذاب شديد (٣٣).

والملحظ الملفت فيما تقدّم أنّ الآيات دالات على توحيد الله بما تبيّن لهم بخلق السّماوات والأرض فاقتضى أنْ يأتي بآية دالة على

قدرته.[٣٤] فقال : "أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ". الآية١٩

ففي هذا التركيب أداتان للوصل الأولى "أو" والثانية "الواو" فقد عطفت "أو" جملة "أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ" على "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً" للدلالة على تفرد الله عزّ وجلّ تعالى بالتحكم في الموجودات كلها سواء أكانت مخلوقات بشرية أم مخلوقات عجماوات وهي الطّير في آلية حركاتها وهي طائرة ، فحالها أقوى وأدلّ على عجيب صنع الله وتفرده به [٣٥].

والأداة الثانية "الواو" عطفت "يقبض" على "الصّافات" وفي هذا الوصل دقة في التعبير وغاية في الإعجاز ، فالقرآن عدل عن قوله "قابضات" ؛ لأنّ الأصل الثابت والمتعارف عليه في الطيران هو صف الأجنحة ؛ غير أنّ مجيء (يقبضن)، الذي يعني ضمّ الأجنحة فيعد أمرًا طارئًا وخلاف الأصل، وصيغته الفعلية تدل على تجدد هذا الفعل واستمراره ،وعلى هذا يكون المعنى أنهنّ صافات ويكون منهنّ القبض [٣٦]. على حين ابن الأنباري أكتفى بأنْ قال: " وتقديره قابضات وعطف ههنا الفعل المضارع على اسم الفعل لما بينهما من المشابهة ،ولهذا عطف اسم الفاعل على الفعل" [٣٧].

وعلى هذا يكون الزمخشري أكثر دقة في بيان الغرض البياني من عطف الفعل على الاسم. وتتكرر "أم" مرة أخرى في أسلوبين استفهاميين رابطة بينهما لإلفات المخاطبين الى أمرين مهمين وذلك في قوله تعالى" أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ". الآية ٢١

فالأولى منقطعة للاضراب الانتقالي من غرض إثبات الألوهية الحقّ لله تعالى بالوحدانية انتقل الى إبطال أنْ يوجد أحد يستطيع الدفاع عنهم يوم الحساب الذي توعدهم الله به فوجه اليهم الاستفهام.[٣٨] والثانية إبطال أنْ يرزقهم أحد إنْ أمسك رزقه بقوله "أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ" ثم تأتي أداة الرّبط الاستدراكي "بل" في قوله "بل لجوا في عتو ونفور" لتغيير "السّياق بالإعراض عن خطابهم والالتفات الى خطاب" النبي "صلى الله عليه وآله" يأمره أنْ يتصدّى لخطابهم ويقرع أسماعهم آياته في الخلق والتدبير الدالّة على توحده في الربوبية وإنذارهم[٣٩].

الحذف :

الحذف سمة من سمات اللغات الإنسانية لما يتطلبه الاستعمال من الاستغناء عن أحد أجزاء الجملة؛ لذا عدّه الدكتور محمد حماسة بأنّه "أحد المطالب الاستعمالية ، فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة أنْ يحذف أحد العناصر المكونة لهذا البناء وذلك لا يتمّ إلاّ

إذا كان الباقي بناء الجملة بعد الحذف معنياً في الدلالة ، كافي في أداء المعنى وقد يحذف أحد العناصر ؛ لأنّ هناك قرائن معنوية ، أو مقالية تومئ اليه ، وتدل عليه ، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره" (٤٠).

ومايهمنا من ظاهرة الحذف هو كونها أحدى المظاهر التي تؤدي الى تماسك النصّ وترابطه غير أنّها كي تحقق هذا الهدف لابد من وجود محورين أساسين هما: التكرار أي أنْ يكون المحذوف من لفظ المذكور كلما أمكن وإلا كان من متعلقاً به أو مرادفاً له والثاني : المرجعية وقد تكون سابقة أو لاحقة وفي الحالتين تسهم في تحقيق التماسك النصّي(٤١).

وقد تنبّه علماؤنا الأفاضل الى أهمية الحذف في تماسك النصّ وترابطه لاسيما "عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز كوسيلة من وسائل تماسك النصّ القرآني وإعجازه ، فهو دعامة رئيسة في نظرية النظم ، ذلك أنّه يعكس كيفية تركيب الكلام وتأليفه بما يناسب السّياق الاجتماعي" (٤٢).

أما النصّيون المحدثون فيرون أنّ الحذف وهو استبعاد العبارات السّطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أنْ يقوم في الذهن أو أن يوسع او ان يعدل بواسطة العبارات الناقصة " (٤٣).

وقد تعددت أنماط الحذف في سورة المُلك منها حذف جمل ، كما في قوله تعالى : "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلك وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". الآية ١

فثمة محذوف بعد قوله "بِيَدِهِ المُلك" وهو "يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء" (٤٤) وقد أدّى هذا الحذف الى تماسك النصّ ؛ لأنّه بمثابة تكرار للمُلك ، فضلاً عن وجود مرجعية له ودليل عليه في قوله "وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (٤٥).

ومن حذف الجمل أيضاً قوله تعالى: " الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ". الآية ٢، فقد قدّر النحاس بعد قوله "لِيَبْلُوَكُمْ" قائلاً "والتقدير: ليبلوكم فينظر أيكم أحسن عملاً" (٤٦).

والتقدير متأتٍ من وجود متعلق بعد فعل البلوى ؛ لذا أوّل الزمخشري قوله "أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً" (٤٧) ، وفي كلا التقديرين ساهم المحذوف لربط أجزاء النصّ من خلال ربطه باللّفظ السابق وتعلقه بقوله "أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً".

أمّا حذف المفرد فيتمثل بقوله تعالى : "وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ " الآية ٦، فقد حذف المخصوص بالذّم ، والتقدير: وبئس المصير عذاب جهنم.(٤٨) فساهم المحذوف بتماسك أجزاء النصّ فالتقدير بمثابة تكرار مكانه قيل :

عذب جهنم وبئس المصير عذاب جهنم ، إذ قد دلّ ماقبل بئس عليه .

الخاتمة

تميّزت سورة المُلك بالخطاب التفاعلي المفعم بالتواصل المقتضي أدوات كثيرة كان لها أثر في ترابط آياتها وتماسكها ،ويمكن بيان هذا الأثر من خلال ذكر أهم النتائج التي توصل اليها البحث.

١.افتتحت سورة المُلك بلفظة مركزية تحال إليها المضمرات في السّورة ، وهي صفة المُلك للباري عزّ وجلّ.

٢.إنّ أكثر عناصر الإحالة وروداً في سورة المُلك هي الضمائر، والأسماء الموصولة فقد تضافرتا لتجعلا النصّ أكثر تماسكاً وترابطاً ، غير أنّ ضمير الغائب "هو" كان له الحظ الأوفر لما له من أهمية في كونه يحيل الى عناصر مذكورة في النصّ فيزيد من ترابطها وتماسكها فضلاً عن وجود ضمائر أخرى مثل المتكلم والمخاطب ممّا أضفى على النصّ تنوعا أكسبه طابع التلوين في الخطاب الواصف، والحوار، والتوبيخ، وغيرها من الأساليب.

٣.ممّا امتازت بها سورة المُلك اجتماع أدوات الإحالة الثلاث اسم الإشارة والاسم الموصول والضمير في موضع واحد ممّا أفاد اجتماع هذه الأدوات مزيداً من قوة الرّبط والتماسك في النصّ فضلاً عن دلالات متكاتفة .

٤.تنوعت أدوات الوصل في سورة المُلك تبعاً لتنوع دلالاتها ووظائفها ،فساهمت بترابط النصّوص وتماسكها .

٥.تعدد أنماط الحذف ساعد في تماسك النصّ وترابطه في بيان كأنّ المحذوف تكرار للمذكور في النصّ .

الهوامش:

(١) لسانيات النصّ : ص١٧.
(٢)ينظر: الكشاف : ٥٧٩/٤.
(٣) نظم الدرر : ٢١٩/٢٠.
(٤) إرشاد العقل السليم : ٢/٩.
(٥) ينظر: الميزان : ٣٦٥/٢٩.
(٦) الكشاف: ٥٨٠/٤.
(٧) الميزان: ٣٦٥/٢٩.
(٨) ينظر:الكشاف : ٥٨١/٤.
(٩) علم اللغة النصّي: ١٦١/١.
(١٠) التحرير والتنوير : ٢١/٢٩.
(١١) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٥/٩ ، ونظم الدرر : ٢٣٧/٢٠.
(١٢) ينظر:التحرير والتنوير : ٤٠/٢٩-٤١.
(١٣) ينظر : نظم الدرر : ٢٥٥/٢٠-٢٥٦.
(١٤) التحرير والتنوير : ٤٨/٢٩-٤٩.
(١٥) ينظر : الميزان : ٥٨١/٢٩.
(١٦) ينظر:التحرير والتنوير : ٢٩/ ٥١ .
(١٧) بنظر : لسانيات النصّ : ٢٤/٢٣.
(١٨) علم لغة النصّ : ١٦٢.
(١٩) ينظر : التحرير والتنوير : ١١/٢٩.
(٢٠) الكشاف : ٥٧٩/٤.
(٢١) معاني النحو : ٣٠٥/٣.
(٢٢) ينظر الكشاف : ٥٨١/٤.
(٢٣) نظم الدرر : ٢٢٩/٢٠.
(٢٤) ينظر:الكشاف : ٥٨١/٤.
(٢٥) ينظر:التحرير والتنوير : ٢٣/٢٩.
(٢٦) اللباب : ٢٣٩/١٩.
(٢٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ١٥٥/٥.
(٢٨) ينظر :التحرير والتنوير : ٢٨/٢٩.
(٢٩) ينظر : معاني النحو : ٢١٨/٣.
(٣٠) الكشاف : ٥٨٤/٤.
(٣١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٥٦/٥.
(٣٢) فتح القدير : ٣٤٨/٥.
(٣٣) ينظر:التحرير والتنوير : ٣٥/٢٩.
(٣٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٥٦/٥.
(٣٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٧/٢٩.
(٣٦) ينظر : الكشاف ٥٨٥/٤
(٣٧) البيان في غريب إعراب القرآن : ٤٥١/٢.
(٣٨) ينظر : التحرير والتنوير : ٤٠/٢٩.
(٣٩) الكشاف : ٥٨٥/٤.
(٤٠) بناء الجملة العربية : ٢٥٩.
(٤١) ينظر : علم اللغة النصّي : ٢٢١/٢.
(٤٢) لسانيات الخطاب : ٤٥.
(٤٣) النصّ والخطاب والأجراء : ٣٠١.
(٤٤) إعراب القرآن للنحّاس : ٤٦٧/٤.
(٤٥) المصدر نفسه والصفحة.
(٤٦)إعراب القرآن للنحّاس : ٤٦٧/٤.

(٤٧) ينظر : الكشاف : ٥٨٠/٤.
(٤٨) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣/٢٩.

المصادر والمراجع:

. إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم : أبو السّعود بن محمد العمادي (٩٨٢هـ) ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، مطبعة السّعادة ، القاهرة ، (د.ت).

. إعراب القرآن ، أبو جعفر النحّاس (٣٣٨هـ) ، تحقيق: د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، دار النهضة العربية ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

. بناء الجملة العربية : د. محمد حماسة عبد اللّطيف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٣م.

ـ البيان في غريب إعراب القرآن : أبو البركات بن الأنباري (ت٥٧٧هـ) تحقيق: د. طه عبد الحميد طه ، مراجعة : د. مصطفى السّقا ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦م.

ـ التحرير والتنوير : محمد الطّاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م.

ـ علم لغة النصّ ، النظرية والتطبيق : د. عزة شبل محمد ، مكتبة الآداب ، ط١ ، القاهرة ن ٢٠٠٧م.

علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السّور المكية ، د. صبحي إبراهيم الفقي ، دار قباء للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٠م.

ـ فتح القدير : الجامع بين فني الرّواية والدّراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشّوكاني ، حققه وخرّج أحاديثه ، د. عبد الرّحمن نميرة.

ـ الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت.

ـ اللّباب في علوم الكتاب : ابن عادل الدمشقي (ت بعد ٨٨٠هـ) ، تحقيق : الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

ـ لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء : د. نعمان بوقرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م.

ـ لسانيات النصّ : مدخل الى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٦م.

. معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، لأبي إسحاق إبراهيم بن السّري (ت٣١١هـ) ، شرح

وتحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة .
ـ معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر ، عمّان ، ط٢ ، ٢٠٠١م.
ـ الميزان في تفسير القرآن ، السّيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
ـ النصّ والخطاب والإجراء : روبيرت دي بوجراند ترجمة : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨م.
ـ نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة.(د.ت)